العدد 44 | كانون ثاني/ يناير | 2016

الغَيرَةُ والعَفافُ
ودَورُهُما الحيويُّ في الإنعاشِ الاقتِصاديِّ

الحلقة (٢)

محمد ياسر الدباغ
مدقق لغوي

عَودٌ على بَدءٍ والعَودُ أحمدُ . .

– والعالِمُ الحاذِقُ بالطِّبِّ عليه أن يكونَ رفيقاً بالمرضَى كما أوصَى نبيُّ الرَّحمةِ سيِّدُنا مُحمَّدٌ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ حينَ قالَ للحكيمِ بالطِّبِّ: "اللّهُ الطبيبُ، وأنتَ الرَّفيقُ" (حديثٌ شريفٌ) فلا يتعالى على المَرضَى؛بل يُعاملِهُم مُعاملةً إنسانيةً تليقُ بالإنسانِ المُكرَّمِ، وعليه أن يَعلَمَ أنّ عِلمَ الطِّبِّ أنبلَ علمٍ بعدَ علومِ الشريعةِ؛ لأنَّه يَصُبُّ في خدمةِ ورحمةِ الإنسانِ كما نصَّ على ذلك الإمامُ الشافعيُّ وغيرُه رَحِمهُ اللّهُ تعالى، وفي المُقابلِ على المريضِ أن يُقدِّرَ ويُوقِّرَ طبيبَه ويُعطيهِ حقَّه ومُستحقَّه، وألاّ يَخدَعَ عالِمَ الطِّبِّ؛لأنّ "مَن يَخدَعَ طبيبَه يَخدع نفْسَه" وكما قيلَ: "على نفْسِها جَنَتْ بَراقِشُ" . وقال الشاعر الحكيم:

إنَّ المُعلِّمَ والطَّبيبَ كِلاهُمـــا ... لا يَنفَعانِ إذا هُما لمْ يُكرَمـــا

فاصبرْ لِدائكَ إنْ أهنْتَ طَبيبَهُ ... واصبرْ لجَهلِكَ إنْ جَفَوتَ مُعلِّما

وعلى الإنسانِ أن يَعلمَ حديثَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: "إنَّ القَرَفَ التَّلَفُ" (رواه أبو داودَ) والقَرَفُ: مُلامسةُ المريضِ؛ فجَعلَ اللّهُ فيها التلفَ والهلاكَ؛ لأنّه قد يُعديهِ ويُمرِضُهُ بإرادةِ اللّهِ تعالى وقَدرِه،وكذلك الحديثَ الشريفَ: "لا يُوردُ مُمرِضٌ على مُصحٍّ" ؛ فأرشدَ النبيّ المُلهَمُ مُحمَّدٌ عليه الصلاةُ والسلامُ إلى مُجانَبةِ ما يَحصُلُ الضَّرَرُ عندَه في العادةِ بفعلِ اللّهِ تعالى وقَدَرِه .

وعن أبي هُريرةَ رضيَ اللّهُ عنه أنّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: "كانَ إذا عَطَسَ غطّى وجْهَهُ بيديهِ أوثوبِه، وغَضَّ بِها صَوتَهُ" (رواه أبو داوودَ والتِّرمذيُّ في الأدبِ)؛ فالعُطاسُ يَقذفُ كثيراً من الرَّذاذِ من الأنفِ والفمِ بما يَحملُه من الجراثيمِ والحُمَات –الفيروساتِ–الضّارَّةِ؛ لذلكَ يجبُ سَترُه أدباً وصحَّةً؛ فقد يُسبِّبُ العُطاسُ العدوى بكثيرٍ من الأمراضِ (الزكامِ، التهابِ السحايا،الأنفلونزا) وخاصَّةً في المساجدِ ومواسمِ الحجِّ والعبادةِ، وأماكنِ الازدحامِ والمسابقاتِ .

ومَن يتدبَّرُ سيرةَ الأطبَّاءِ الألبَّاءِ والحُكماءِ يَرى منهُم فنوناً مِن الرّحمةِ والرّأفةِوالحِنكةِ والحِكمةِ والفراسةِ بالمَرضَى ما يُدهِشُ العُقولَ ويُحيِّرُ الألبابَ؛ وكيف لا يكونُ ذلك وهُمْ يَرونَ بديعَ صُنعِ اللهِ البديعِ الحكيمِ في خَلقِه، ورَحمتَهُ ولُطفَهُ وشفاءَه لعبادِه قالَ تعالى: "وفي أنفسكُمْ أفلا تُبْصِرُونَ"، وقال سبحانَه وتعالى على لسانِ سيِّدنا إبراهيمَ عليه وعلى نبيِّنا مُحمَّدٍ الصلاةُ والسلامُ: "وإذا مَرِضْتُ فهُوَ يَشفِينِ"؛

– وشابٌ نشأَ لعبادةِ اللهِ: شَبَّ ونَشأَ: فيها ما فيها مِن ثورانِ الشهوةِ والفتوَّةِ والعُنفوانِ؛ ولكنَّه اختارَ طريقَ اللهِ، واستحبَّ ملاذَ اللهِ، فهُو أنيسُه في وحدَتِه، وجليسُه في خَلوتِه، ونَصيرُه في مَسيرتِه. غَارَ على شَرْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ ففقِهَهُ وحَفِظَهُ، وعفَّ عن الحرامِ فضَبَطَ لسانَهُ ولفظَهُ، وزكَّى قلبَهُ فأنارَ اللهُ عقلَهُ ولُبَّهُ، وأقبلَ على العلمِ وتأدَّبَ بآدابِه فنَالَ بَركَتَهُ وثمَرتَهُ، وعَكَفَ على العملِ الجادِّ فأجادَه، والتزمَ قولَ الحقِّ ولو كان مُرًّا فقبِلَهُ وقَبَّلَه فصارَ عَذباً وعَسلاً وتمراً؛ لأنّه "ذاقَ طَعمَ الإيمانِ.." ويَعلَمُ أنّ الحقَّ مُرٌّ، وقولَهُ أمرٌ، والدَّعوةَ إليه أمرٌ وأمرٌ، وقَبولَهُ أمرٌ وأمرٌ وأمرٌ؛ لِمَ لا واللهُ الحقُّ يقولُ:(وأكثرُهُمْ للحَقِّ كارِهُونَ)؛ لذا رضِيَ أن يكونَ في هذه الحياةِ – بما فيها مِن ظُلماتِ الجهلِ والحَيرَةِ والخيانةِ– مِن أهلِ القليلِ في نُورِ اللهِ المُحيِي الجليلِ، واللهُ تعالى يقولُ: "وقليلٌ مِن عِبادِيَ الشَّكُورُ"؛

– ورَجُلٌ قلبُهُ معلَّقٌ في المَسجِدِ حتّى يَرجِعَ إليه: وهذه حالُ أهلِ اللهِ عزَّ وجلَّ عُمَّارِ بيتِ اللهِ تعالى؛ (علما وعملاً، درساً وتدريساً، طُهراً وعِطراً، ذِكراً وشُكراً)، يلتقي بالناسِ ويتفقَّدُ حالَهُم؛ فيَزيدَه اللهُ رِقَّةَ الشُّعورِ ورَهافةَ الإحساسِ؛ ليَعُودَ إلى (بيتِه، أوعِيادتِه، أو متجَرِه، أو مَصنَعِه، أومَكتبِه،أو مَزرعتِه..) مُشبعاً بنُورِ الإيمانِ، ومُتشرِّباً برَحمةٍ من ربِّه الرَّحيمِ الرَّحمنِ، ومُستضيئاً بهَدي سيِّدِ وَلَدِ عدنانَ– سيِّدنا مُحمَّدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكى السلامِ – ما تعاقبَ المَلوانِ الليلُ والنهارُ؛ يتعاملُ مع الخَلقِ ظاهِراً، ومع اللهِ تعالى باطِناً؛ يُعلِّمُ جاهِلَهُم، ويُرشِدُ ضالَّهُم، يُيسِّرُ أُمورَهُم، ويَسعى بذِمَّتِهِم، ويُوقِظُ هِمَمَهُم، ويَرفَعُ هِمَّتَهُم، ويَشحَذُ عزائِمَهُم، ويُرقِّي أخلاقَهُم، ويُنيرُ عُقولَهُم، ويُبَصِّرُهُم حقائقَ الدِّينِ والدُّنيا والآخِرةِ. وشِعارُه قولُ الرسولِ مُحمّدٍ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أحبُّهُمْ إلى اللهِ أنفعُهُمْ لعِيالِه"، وللهِ درُّ الشاعرِ القائلِ:

وما المَرءُ إلاّ حيثُ يَجعَلُ نَفسَهُ فَفي صالِحِ الأعمالِ نفسَكَ فاجْعَلِ

ولا يكونَ حالُه حالَ مَن صلّى وما صلَّى مِصداقاً لقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وصَحبِه وسلَّم: "ارجِعْ فصَلِّ فإنَّكَ لمْ تُصلِّ"؛ لأنَّه ما فهِمَ علماً، وما أتقنَ عَملاً، وما أتمَّ رُكوعاً، وما أحسَنَ خُشوعاً؛ بلْ كان لآياتِ اللهِ عَنيداً؛ جَموعاً مَنُوعاً، بَخيلاً شحيحاً، حَلَّافاً مَهيناً، صخّاباً في الأسواقِ؛ وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "خَيرُ البِقاعِ إلى اللهِ المَساجِدُ، وشَرُّ البِقاعِ إلى اللهِ الأسواقُ"؛ فيصبحَ تاجراً فاجراً لا يَعرِفُ للنَّصيحةِ الصَّحيحةِ أصلاً وعُنواناً، ولا للغَيرةِ والعَفافِ والأمانةِ مكانةً ومَكاناً، ولا يَرضى إلاّ الخسَّةَ والمَذلَّةَ والمَهانةَ سُلوكاً ومَجانةً، واللهُ تعالى يقولُ: "ولا تُطِع كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ*همَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَميمٍ*مَنَّاعٍ للخَيرِ مُعتَدٍ أثيمٍ*عُتُلٍّ بَعدَ ذلكَ زَنِيمٍ*أنْ كانَ ذا مالٍ وبَنِينَ*إذا تُتلى عليه آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوَّلينَ"ولسانُ حالِه يقولُ: "بَدنا نعيشْ ونْصير".

– ورَجُلان اجتمَعا على حُبِّ اللهِ وتَفرَّقا على حُبِّه: إنّها الرُّجُولَةُ في أسمَى مَعانيها؛ رُجولةُ (طُهْرٍ، وَجِدٍّ، وَصِدقٍ) رُجولةُ (ذِكْرٍ،ومَبدأٍ،وفِكْرٍ)، ورُجولَةُ سُلوكٍ مَدى العُمُرِ (حياةً وإحياءً)؛ فالحُبُّ في اللهِ وللهِ شديدٌ، وبَحرُه عميقٌ، وسِرُّهُ وثيقٌ، ونَفعُه أكيدٌ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ في وَصفِ الرَّعيلِ الأوَّلِ الفريدِ مِن آلِ بيتِ النَّبيِّ الغُيُرِ وصَحبِه الأُباةِ: "لَمسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوَى مِنْ أوَّلِ يَومٍ أَحقُّ أنْ تقومَ فيه فيه رِجَالٌ يُحبُّونَ أنْ يَتطهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ * أفَمَنْ أسَّسَ بُنيانَهُ على تَقوَىً مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيرٌ أمْ مَنْ أسَّسَ بُنيانَهُ على شَفا جُرُفٍ هارٍ فانْهارَ بِه في نارِ جَهنَّمَ وَاللهُ لا يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ" (التوبة: ١٠٨–١٠٩)؛ فلا "حُبَّ بِلا طُهْرٍ، ولا طُهْرَ بِلا تَقوى، ولا تَقوى بلا حبَّ، ولاحبَّ بلا وُدٍّ"،

وقال جلَّ في عُلاهُ: "رِجالٌ لاتُلهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيعٌ عنْ ذِكْرِ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ يَخافُونَ يَوماً تتقلَّبُ فيه القُلوبُ والأبصَارُ* لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما عَمِلُوا ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِه واللهُ يَرزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ" (النور: ٣٧–٣٨)، إنّها رُجولَةٌ جادَّةٌ، حقَّقتْ نتائجَها، وآتتْ أُكلَها الطيِّبَةَ، وَجَنَتْ ثمارَها اليانعةَ خَشيةً للهِ وشُكْراً،

ويقولُ سُبحانَه وتَعالى: "رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه فَمِنْهُمْ مَنْ قضَى نَحبَهُ ومِنهُمْ مَنْ يَنْتظِر وما بَدَّلُوا تبْديلا * لِيجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصدقِهِم وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ أوْ يَتُوبَ عليهِمْ إنّ اللهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً" (الأحزاب: ٢٣–٢٤)؛ إنّه صِدقُ العَهدِ معَ اللهِ جلَّ جَلالُه ثباتاً على المبدأ، والعقيدة، والأخوَّةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ.

وهكذا يكونُ المُسلمُ الشَّهمُ الغَيورُ العَفيفُ ناصِحاً في حَياتِه تِجارةً مع اللهِ في سبيلِ خِدمةِ ونَفعِ عبادِ اللهِ أينما كانَ؛ لإصلاحِ الرَّعيةِ ورِفعَةِ الأمَّةِ، ونَهضةِ البلادِ وإسعادِ العبادِ– بَعيداً عن الشُّهرةِ والسُّمْعةِ والرِّياءِ– وكما قيلَ: "مَن أرادَ الشُّهرَةَ فلْيُصاحِبِ الهِرَّةَ". وروَى رزين: "انْظروا إلى مَنْ هو أسفلَ منكُمْ في الدُّنيا وفَوقَكُمْ في الدِّينِ؛ فذلكَ أجدرُ أنْ لا تَزدَرُوا نِعمَةَ اللهِ عليكُمْ"؛

– ورَجُلٌ تَصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتّى لا تدري شِمالُه ما تُخفي يَمينُه: وهكذا يكونُ حالُ المؤمنِ الخفيِّ التقيِّ النقيِّ مَجهولاً بينَ الناسِ ومعلوماً عند ربِّ الناسِ، يُخْفي صَدقَتَهُ، ويتغلَّبُ على نفسِه الأمَّارةِ بالسوءِ وعلى شيطانِه، وهو الذي يكونُ عَملُه خالِصاً لِوجْهِ اللهِ، ويَغارُ على سِرِّه؛ لأنّه بينَه وبينَ ربِّه وحِبِّه؛ ليأنسَ بصفاءِ الحُبِّ، وأخلَصِه، وأرقِّه، وأعذبِه.

حقّاً إنّه الوُدُّ بينَ العبدِ وسيِّدِه؛ فلا يَرضَى أن يَطَّلِعَ عليه أحدٌ ولو كانَ جُزءَه؛ ويَدري ويَعلَمُ أنّه يَدري روايةً ودِرايةً؛ فهو من أهلِ اليمينِ بما فيها من قوَّةٍ وعَهدٍ وتمكينٍ؛ لينالَ كتابَه يومَ القيامةِ بيمينِه ويقول: "هآؤُمُ اقرَءوا كتابيَه* إنّي ظَننتُ أنّي مُلاقٍ حِسابيَه* فهُو في عِيشةٍ راضِيةٍ* في جَنَّةٍ عاليةٍ* قُطوفُها دانيةٌ* كُلُوا واشْرَبُوا هنيئاً بما أسلَفْتُم في الأيَّامِ الخالِيةِ" (الحاقة: ١٩–٢٤) ولا يأبَه للإغراءِ والإغواءِ– كما يَفعلُ أربابُ الشهرَةِ والسُّمعَةِ والرِّياءِ والمكاثرةِ المُفاخَرةِ– وهكذا لا يتأتَّى الخَلاصُ من فتنةِ الدُّنيا إلاّ لِمَنْ تدرَّعَ بالوَرَعِ والتقوى وتزكيةِ النفسِ؛ أمّا الشِّمالُ فلغَيرِه من الأشياءِ؛

– ورَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصبٍ وجَمالٍ فقالَ إنّي أخافُ اللهَ: إنّه الصِّراعُ النفسيُّ بينَ لذّةِ المُتعةِ وسُموِّ الفطرةِ، بينَ غريزةِ الإنسانِ وخشيةِ اللهِ الواحدِ الدَّيّانِ، بينَ الجسدِ الترابيِّ والرُّوحِ السماويِّ؛ فأيُّهُما غلبَ الآخرَ كانَ الفوزُ والنَّصرُ له؛ إمّا الظَّفَرُ بنشوةِ لحظةٍ وخيبةِ الأملِ، وإمّا النَّصرُ مدى العُمُرِ لِسُموِّ الطُّهرِ على العُهرِ؛ يَتذكَّرُ الميثاقَ الغليظَ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: "..وأخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غليظاً" (النساء: ٢١)، وفي هذا إشارةٌإلى أنّ الانحلالَ الإراديَّ والأخلاقيَّ سيُؤدِّي تلقائيّاً إلى الفسادِ الإداريِّ والاقتصاديِّ فهُما صنوانِ مُتلازمانِ سلباً وإيجاباً؛ فعَن حذيفةَ بنِ اليمانِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "...،والنِّساءُ حَبائلُ الشيطانِ.." (أخرجه رزين، وذَكَرَهُ المُنذريُّ في الترغيب والترهيب).

جَمالٌ وجَاهٌ، عُزوةٌ ونزوةٌ تتراءى أمامَ إنسانٍ فيهِ من المشاعرِ والغرائزِ ما فيه؛ ولكنَّه يترفَّعُ ويتسامى ولا يَغُرُّه لمىً ولا يُغريه هوىً؛ بل يستهدي بهُدى الرحمنِ، ويَضْرِبُ المثلَ بسيِّدنا يُوسُفَ الكريمِ بنِ الكريمِ بنِ الكريمِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُتمثِّلاً قولَه: "إنّي أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ"؛ إنّها خشيةُ اللهِ تعالى، والالتجاءُ له، والفرارُ إليهِ والغَيرةُ على العِرضِ والعَفافُ في النفسِ.

وتذكَّر أُختي كيف همَّت زُليخا بالشابِّ الكريمِ الوسيمِ يُوسفَ الذي آتاهُ اللهُ من الحُسنِ ما آتاه؛ ولكنّه تأبَّى فترقَّى،وعندما شُدِهتْ ودُهِشَتْ وذُهِلَتْ؛ عادَتْ وآبَتْ، واعترَفَتْ أمامَ الملأِ؛ فتابَتْ وبقيتْ حُرَّةً أصيلةً، وتبرَّأتْ نَفْسُ وساحةُ سيِّدنا يُوسفَ عليه السلامُ؛ لأنّه أخلصَ للهِ وغَارَ وتعفَّفَ, قالَ اللهُ في حَقِّه: "إنّه من عبادنا المُخْلَصِينَ"، وهكذا انتصرَ العفافُ وفازَتِ الغَيرةُ؛ ف"مَن كانَ في حِمى اللهِ حَماه اللهُ"وبعدما امتُحِنَ وصبَرَ وأيقنَ مكَّنَه اللهُ تعالى قالَ له عزيزُ مصرَ: "إنّكَ اليومَ لَدينا مَكينٌ أمينٌ"؛ فأجابَه إجابةَ الواثقِ بتمكينِ اللهِ لهُ وبجُرأةٍ أدبيةٍ وعِزَّةٍ ربَّانيَّة: "اجْعلني على خَزائنِ الأرضِ إنّي حفيظٌ عليمٌ"، وأصبحَ ذُو القلبِ الحزينِ المُستشارَ المُؤتمَنَ على قضايا الأمَّةِ ومالكَ الخَزينِ، واعترَفَ بنعَمِ اللهِ عليهِ ونَسبَ الفضلَ إليه: "هذا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلينا وعلى النّاسِ ولكنَّ أكْثرَ الناسِ لا يَعلَمونَ"؛

– ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عَيناهُ من خشيةِ اللهِ: إنّها الخَلوةُ معَ اللهِ، واللجوءُ إلى الحِصنِ الحصينِ والركنِ الركينِ؛ ليعترفَ لسيِّده وخالقه بما بَدَرَ منه من لَمَمٍ وخطايا؛ فيستشعرُ عظمةَ اللهِ، وقوَّةَ قهرِه وسلطانه؛ ولكنّه يعلمُ أنّ اللهَ عفوٌّ غفورٌ غنيٌّ حميدٌ، ويتذكَّر قولَ ربِّه الكريمِ الغفورِ: "وسارِعُوا إلى مَغفرَةٍ من ربِّكُم وجنَّةٍ عَرضُها السَّمواتُ والأرضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ*الّذينَ يُنفِقُونَ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ والكاظِمينَ الغيظَ والعافينَ عن النّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحسِنينَ"؛ فيذوبُ حياءً من مَولاهُ لما يَرى من جميلِ عَفوِه وجُودِه وكَرمِه فينفثُ ما في صَدرِه من آهاتٍ ونفثاتٍ فيسكبُ العَبراتِ من فؤادٍ مُفعَمٍ بالهَيبةِ والخشيةِ من ربِّه ذي الجلالِ والإكرامِ وهو يتلُو آيّاتِ اللهِ البيِّنات؛ لذا فالمُسلمُ إنْ أنشدَ جَذَبَ وأرشَدَ، وإنْ تكلَّمَ تكلَّمَ بحُرقَةِ قلبٍ فحرَّكَ الألمَ، وبَعثَ الأملَ بين الملأِ، وإنْ تلا آياتِ اللهِ تعالى تلألأ نُوراً، ومَلأ النفسَ بهجةً، والصدرَ انشراحاً، والقلبَ سُروراً.

وعن عياض بن حمار رضيَ اللهُ عنه قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: "أهلُ الجنَّة ثلاثةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسطٌ مُوفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحيمٌ رقيقُ القلبِ لكُلِّ ذي قُربى ومُسلمٍ، وعَفيفٌ مُتعفِّفٌ ذُو عيالٍ" (رواهُ مُسلمٌ).

وعن أبي ذَرٍّ الغفاريّ رضيَ اللهُ عنه قالَ: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: "ليستِ الزَّهادةُ في الدُّنيا بتَحريمِ الحلالِ ولاإضاعةِ المالِ؛ ولكنَّ الزُّهدَ أنْ تكونَ بما في يدِ اللهِ تعالى أوثقَ منكَ بما في يَديكَ، وأنْ تكونَ في ثوابِ المُصيبَةِ إذا أُصبْتَ بها أرغَبَ منْكَ فيها لو أنَّها أُبقيَتْ لكَ" (رواه التِّرمذيُّ في الزُّهد: ٢٣٤١).

وورَى الدَّيلَميُّ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه أنّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "خَيرُكُمْ مَنْ لَمْ يَدَعْ آخرَتَهُ لِدُنياهُ ولا دُنياهُ لآخرَتِه، ولم يَكُنْ كلًّا على الناسِ" والكَلُّ: الذي يكون عِبئاً على الناسِ.

ومِمَّا يُنسَبُ إلى سيِّدنا عليّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه شعراً:

لَحَمْلِيَ الصَّخْرَ مِنْ قِمَمِ الجبـــالِ أحبُّ إليَّ من مِنَنِ الرِّجـــالِ
يَقولُ الناسُ لي في الكَسْبِ عَارٌ فَقلْتُ العارُ في ذُلِّ السُّؤالِ

وعن حكيمِ بنِ حزامٍ رضيَ اللهُ عنه أنّ النبيَّ مُحمَّداً صلَّى اللهُ عليه وآله وصَحبه وسلّمَ قالَ: "اليدُ العُليا خَيرٌ منَ اليدِ السُّفلَى،وابدأْ بمَنْ تَعولُ، وخَيرُ الصَّدَقَةِ عنْ ظَهْرِ غِنىً، ومَن يَستَعفِفْ يُعفُّهُ اللهُ، ومَن يَستَغنِ يُغنِه اللهُ" (متَّفقٌ عليه واللفظُ للبُخاريِّ) ظَهرِ غِنىً: ما زادَ عن حاجةِ الأهلِ والعائلة.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمروِ بنِ العاصِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "قَد أفلَحَ مَن أسْلَمَ ورُزِقَ كَفافاً، وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاهُ" (رواهُ مسلمٌ في الزكاة).

والمُسلمُ المُؤمنُ المُخلِصُ على ثَغْرٍ من ثُغورِ الإسلامِ؛ فليَحذَرْ كلُّ غَيورٍ عفيفٍ على ثَغرِه، وكلُّ إنسانٍ في مَيدانِه وتَخصُّصِه (طهارةً، نظافةً، زراعةً، تغذيةً، صيدلةً، صناعةً،بيئةً..) فلا يَرضى إلاّ بتطهيرِها، وتنظيفِها، وتعطيرِها، وصَونِها؛ لتصبحَ جنَّةً في الأرضِ قبل أنْ يدخُلَ جنَّةَ السماءِ، ولله درُّ مَن قال: "إنّ في الدُّنيا جَنَّةً مَنْ لمْ يَدخُلْها لمْ يدخُلْ جنَّةَ الآخرةِ"، وإنْ كانَ قصدُه جنَّةَ القلبِ وسعادةَ الرُّوحِ؛ ولكنْ لا مانعَ من أنّه:كيف يدخلُ الجنَّةَ نَجِسٌ أو دَنِسٌ؟! وكيف يَدخُلُ الجنَّةَ دُيُّوثٌ فاجرٌ أو جاحدٌ مُكابرٌ لا يَرضَى بشرعِ اللهِ عزَّ وجلَّ ديناً في دُنياه؟! وكيفَ لا يَغارُ مُسلمٌ على دينِه وعِرضِه وتاريخِه وأرضِه وتُراثِ أجدادِه وآبائِه؟!

مَن بَنوا حضارةً زاهرةً تعلَّمَ منها القاصي والدَّاني، وتعلَّمَ منها العالَمُ شرقاً وغَرباً،وقد قالَ سيِّدُنا النبيُّ مُحمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُبيِّناً أفضلَ الناسِ وأكثرَهُمْ خيراً، ومُحذِّراً من أشدِّهم شرّاً وضَرراً: "خَيرُ الناسِ مَن انتفَعَ به الناسُ، وشَرُّ الناسِ مَن يَسعى بأخيهِ المُسلمِ" أي: بالأذى والسُّوءِ والشذى (رواهُ الحاكمُ في المستدرَكِ وصحَّحَهُ الذهبيُّ ووافَقه).

وأخيراً وليسَ آخراً؛ لابُدَّ من القَولِ أنّ علماءَ أصولِ الفقهِ قد قرَّرُوا أنَّ "العددَ ليسَ لهُ مَفهومٌ"؛ لذا فالخِصالُ الحميدةُ التي وَردَتْ في الحديثِ النبويِّ الشريفِ ويُظلِّلُ صاحبُها في ظِلِّ اللهِ تعالى أكثرُ من ذلكَ بكثيرٍ، وهذا يدلُّ على

سَعَةِ رَحمةِ اللهِ وفَضلِه وكَرَمِه وجُودِه، وقد أوردَ الحافظُ السَّخاويُّ رَحمَه اللهُ تعالى في جُزئِه المسمَّى بالخِصالِ المُوجِبَةِ للظِّلالِ (بُزوغُ الهِلالِ في الخِصالِ المُوجِبَةِ للظِّلالِ) تسعةً وثمانينَ خصلةً (٨٩) وذَكَرَ أدلّةَ ذلكَ وما وَرَدَ فيه في آخرِه، وقد جَمعَها الإمامُ الأديبُ الأريبُ مَعمَرُ بنُ عبدِ القويِّ المكيُّ المالكيُّ رَحمَهُ اللهُ فقالَ:

أناسٌ رَوينا في الصَّحيحَينِ سَبْعَةٌ ... يُظِلُّهُمُ الرَّحمَنُ في بَرْدِ ظِلِّه
وقَد حازَهُمْ زَيْنُ الهُدى شَيخُ وَقْتِه ... أبو شامَةَ في النَّظْمِ منْهُ بِقَولِه
مُحبٌّ عَفيفٌ ناشِيءٌ مُتصَدِّقٌ ... وبَاكٍ مُصَلٍّ والإمامُ بِعَدلِه
وزَادَ عليه شيخُ الاسلامِ عِدَةً ... ثلاثةَ سَبْعاتٍ رَواها بِنَقْلِه
وأبْرَزَها نَظْماً فَقالَ ونَظْمُهُ هُوَ ... الدُّرُّ لا نَظْمَ يَكُونُ كَمِثْلِه
وزِدْ سَبْعَةً إظلالَ غازٍ وعَونَهُ ... وإنظارَ ذي عُسْرٍ وتَخفيفَ حمْلِه
وحامِي غُزاةٍ حَينَ ولوا وَعَونَ ... ذي غَرامةِ حَقٍّ مَع مُكاتبِ أهْلِه
وزِدْ مَعَ ضِعْفٍ سَبْعَتَينِ إعانةً ... لأخْرَقَ مَع أخْذٍ لِحَقٍّ وبَذْلِه
وكُرْهٍ وصَبْرٍ ثُمَّ مشيٍ لِمَسْجِدٍ ... وتَحسينِ خُلْقٍ ثُمَّ مُعظِمٌ فَضْلِه
وكافِلِ ذي يُتْمٍ وأرملةٍ وَهَتْ ... وَتاجِرِ صِدْقٍ في المقالِ وفِعْلِه
وَحُزْنٍ وتَصبيرٍ ونُصْحٍ ورأفةٍ ... تربعُ بها السَّبعاتِ من فَيضِ فَضْلِه
وَقَد زادَ فيما بعدَ ستًّا ولم ... تَقَعْ مُنظَّمَةً منْهُ كسَابقِ قَولِه
وَقَد نَظَمَها حكم لغيرٍ كنَفْسِه ... مُحبٍّ لسيفِ اللهِ شيعةِ عَدلِه
وتَركِ الزِّنا تَركِ الرِّياءِ ورُشوةٍ ... وأوَّلِ إنعامٍ نهايةِ كُلِّه
فأربَعةٌ صارَ الجميعُ وقَبْلَها ... ثلاثونَ فاقْرأ العِلْمَ تَحظَ بنَيلِه
وَزادَ عليها حافظُ العَصرِ شَيخُنا ... وعلَّامةُ الإسْلامِ جامعُ شَمْلِه
عَنَيتُ السَّخاويَّ الذي كُلُّ عالمٍ ... يَروي صَداهُ من تَفيُّضِ فَضْلِه
ثمانيةً من بَعدِ خَمسينَ خَصلَةٍ ... تَتبَعُها فيما رَواهُ وأَصلِه
فَدُونَكَها نَظماً لِيَحْسُنَ حِفْظُها ... بأحسَنِ تعليمٍ يكونُ بسَهْلِه
فأوَّلُها في العَدِّ مَنْ هُوَ ساكتٌ ... بِحِلْمٍ وذُو ثَبْتٍ بِعِلْمٍ وعَقْلِه
وَمَنْ حَفِظَ القُرآنَ في حالِ صِغرِه ... وَقادَ كبيراً في الأنامِ بِحَمْلِه
مُراقِبُ شَمْسٍ لِلمَواقيتِ تاجِرٌ ... أمينٌ بلا مَدحٍ وذَمٍّ لِرَحلِه
عِيادةُ مَرضَى ثُمَّ تَشييعُ مَيتٍ ... ومَنْ لَمْ يَخَفْ في اللهِ لوماً لِعَدْلِه
وَقَبضِ يَدٍ عَن غيرِ حقٍّ وغِضَةٍ ... لِطَرْفٍ عنِ المحظُورِ قَصداً لِحِلِّه

وَترك غَريمٍ ثُمَّ فَضْلٍ لِمُعسرٍ ... وإشباعِ ذي جُوعٍ يَتُوقُ لأكْلِه
وَواصِل رَحِمٍ ثُمَّ رَحمَةَ أيِّمٍ ... بأيتامِها تُعنَى بِيُتْمٍ وشُغْلِه
وَصَانِع طعمٍ لِليَتيمِ ومُوقِنٍ ... عليه رَقيقاً في ارتجالٍ وَحِلِّه
مُحبّ لِخَلْقِ اللهِ يَبغي فَضْلَهُ ... مُؤذنٍ فرّاجٍ لِكَربٍ وكُلِّه
وَمُحيي طريقاً للنَّبيِّ ومُكْثِرٍ ... صلاةً عليه في النَّهارِ ولَيلِه
وَحامِلِ قُرآنٍ قِراءةَ أصفيا ... كَذا أنبياءِ اللهِ أكْرِمْ بأهْلِه
وإفراد إبراهيمَ بالذِّكْرِ مِنْهُمُ ... عليٌّ ونجْلاهُ فَطُوبى لِنَجْلِه
مَريضٌ وذُو جُوعٍ وصَومٍ وهائِمٍ ... ثلاثةَ عَشَرَ من مرحبٍ حولِه
مُصَلٍّ بِقُرآنٍ أتى بَعدَ مَغرِبٍ ... وأطفالِ أتباعِ النَّبيِّ وَسُبلِه
وَنَجْلِ رَسُولِ اللهِ ذكَرنا به ... وغيرِ حَسودٍ والعُقوقِ لأصلِه
وَتارك مَشيٍ بالنَّميمةِ ظاهِرٌ ... بَريءٌ ومَذكورٌ بِذكْرِ المولِه
مُنيب لدى ذكْرِ الإلهِ وغاضِبٍ ... بِحُرمَتِه ثُمَّ المُحبُّ لأجْلِه
وَعُمَّار بَيتِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ... ومُسْتَغْفِرِ الأسْحارِ يا طيبَ قَولِه
وَمَذْكُور رَبِّ النَّاسِ ذاكِرُهُ كَذا ... شَهيدٍ ومَنْ في أُحُد فازَ بِقَتْلِه
مُعَلِّمُ أبناءِ وأخيارِ ديننا ... أمانةَ أمرٍ بالجَميلِ وَفِعْلِه
وَنَهي وداعي الخيرِ واختِمْ ... بِخَاتِمَ النَّبيِّينَ حبِّ اللهِ أكْرَمِ رُسْلِه
عَليه صَلاةُ اللهِ ثُمَّ سَلامُهُ ... وآلٍ وأصحابٍ كرامٍ بِوَصْلِه
وَقَد كمُلَتْ تسعينَ تَعجزُ واحِداً ... مُبيَّنةً جاءَتكَ مِنْ فَيضِ فَضْلِه
وَنسألُ مَولانا الكَريمَ إلهَنا ... يُصيرنا مِمَّنْ يُظَلُّ بِظِلِّه

اللهُمَّ آمينَ.